أسس المقاربة التأويلية في ترجمة النصوص الابداعية "اللسانيات الادراكية / العرفنية" أنموذجا

نورالدين دحمان
جامعة الشلف

لقد أفرزت نظريات الترجمة كمّا هائلا من النظريات المختلفة و المتنوعة التي طرحت أفكارا متجدّدة ومتعدّدة؛ فيوجد من ضمنها "النظرية اللغوية" عند كاتفورد catford linguistic theory of translation" 1965"، و"نظرية الترجمة" عند نايدا 1964، و"نظرية الترجمة الدلالية والخطابية" عند نيومارك Newmark "Communicative translation1988" . يضاف إلى هذه الأنواع نظريات أخرى تعرف بالنظريات الوظائفية للترجمة "Functional theories of translation" منها "نظرية العمل الهادف"، و"نظرية المستوى الدلالي للسياق والخطاب في الترجمة" 1997.

وهذا في الوقت الذي شهد فيه النصف الثاني من القرن العشرين ثورة لسانية متشعبة أفرزت وفرة لافتة في المنطلقات و الأسس و المفاهيم و المصطلحات المستحدثة التي تمّ تطعيم كلا من حقلي الترجمــة و اللسانيات بهما. و تتضمّن عملية التأكيد على الطابع اللساني لعملية للترجمة إرجاعا للترجمة إلى المهد الطبيعي لها، و هو التأكيد على أنّ الترجمة عملية لسانية أساسا تتدّخل عوامل اجتماعية و ثقافية و حضارية تسند عملية الترجمة و ترفدها. و من ضمن النظريات الجديرة بالاهتمام و التي جمعت بين أشتات من العلوم الانسانية و التقنية المعاصرة نظريات لسانيات الإدراك أو اللسانيات العرفنية. وقد ألقت تطبيقات هذه النظرية بظلالها على دراسات الترجمة و نظرياتها و أفرزت النموذج التأويلي في الترجمة. ويتلخص مفهومها العام في أنّ عملية إنجاز الترجمة تتضمّن مهارات لسانية تتمحور حول اللغة و أنشطتها ومهارات أخرى غير لسانية، فأمّا المهارات اللسانية فتتعلّق بالاستماع و القراءة والكتابة و التعبير؛

وهي المهارات اللغوية التي تمثّل الحد الأدنى لمتعلّم اللغة و متكلّمها في إطارها المعروف. و يضاف إلى كلّ ذلك ارتباط الترجمة بسنَن الاستعمال اللساني الذي يعكس توظيفا لصور ثقافية و اجتماعية لا يتيّسر فهمها و لا إدراكها إلا لمن توافرت فيه شروط المترجم الماهر.

كما يؤشر ذلك على أنّ الترجمة لا ينصبّ عملها على اللغة لوحدها، و إن كانت الترجمة هي فعل لغوي بالأساس إلاّ أنّ الاعتماد على الأساس اللساني لنص الترجمة لوحده يؤدّي إلى فقد الدلالة نفسها لأنّ نص الترجمة نص مركب من عدّة محاور و يشكّل المحور اللساني أحدها و ليس أوحدها.

وباعتماد منظور "اللسانيات الإدراكية /العرفنية" يتبين أنّ اللغة أصوات و كلمات و جمل و لكنها بالأساس صور ذهنية و فكرية عن الواقع و البيئة و الحياة. فاللسانيات الإدراكية تدرس البنية الذهنية لدى الإنسان و قدرتها على إنتاج صور الكلمات و الأشياء و تمثلها ثمّ إخراجها إلى الواقع في لباس من الأصوات و المقاطع الملفوظة.

وعلى هذا الأساس فقد أصبحت الدراسات المتعلّقة "بالذهن و الإدراك" وقدرتيهما على "التفكير المجازي" و"التمثيل التخيّلي" محطّ اهتمام كلّ من اللسانيين والإدراكيين ونقاد الأدب؛ وقد ألقت نتائج هذه الدراسات على تطبيقات معرفية شتى؛ ومن أهمّها حقل الترجمة باعتبـار الترجمة ميدانيا تطبيقيا لما أصبح يعرف "اللسانيات التطبيقية" "La linguistique appliquée".

في إطار المقاربة الإدراكية/العرفنية لعملية الترجمة يشكّل فهم الدماغ البشري الذي يعتبر مخزون اللغة ووعاءها المادي خطوة هامّة نحو فهم الآليات اللاحقة لنقل دلالات الألفاظ بطريق الترجمة، فإذا كانت الترجمة هي عملية استبدال وحدات لغوية في إطار لغة معينة بوحدات لغوية أخرى في إطار لغة معينة هدف مع مراعاة

خصوصية النظام النحوي في كليهما؛ فهذا يجعلنا نحاول فهم أسس العملية اللغوية قبل عملية الترجمة، و هو ما يطلق عليه بعلاقة الفكر باللغة أو علاقة الإدراك باللغة.

« In particular word, we would like to be able to account for the way that (more or less) the same thought can be mapped into expressions of different languages, allowing for the possibility of reasonably good translation »(1) .

هذه القضية أسالت الكثير من الحبر لدى طوائف من العلماء في شتى الاختصاصات العلمية خصوصا الإنسانية، لكن في إطار اللسانيات لا يهمّنا إلاّ ما تعلق منها بالجانب العلمي التطبيقي أي جانب عمل الإبداع البشري للغة كما توصلت إليها التجارب الميدانية في هذا الإطار، أمّا ما سوى ذلك من جوانب فلسفية فهو أدخل في حقول معرفية أخرى.

و لتمثيل الواقع لسانيا لجأت الأنظمة اللغوية في مسارها الطويل عبر العصور إلى تقطيع الواقع اللغوي إلى فئات و مقولات (Catégories) لغوية ليسهل بناء نظام تخاطبي متسلسل و منتظم؛ و هي المقولات التي تعيننا بسهولة و يسر على فهم نظام اللغة و تراتبيتها؛ لأنّ الدماغ البشري الذي تصدر عنه هذه التعابير اللغوية مهيكل بطريقة بنيوية تصنيفية؛ و هذا النظام الكامن هو الذي حاولت التجارب المخبرية المتعدّدة إماطة اللثام عنه بما أضحى يعرف بالبنى الدماغية "Les structures cérébrales".

يتبين لنا أنّ النظام اللساني يرتبط بالبنية الدماغية و بمقدار فهمنا لآلية عملها و اشتغالها ينسحب ذلك على فهمنا لبنية اللغة ذاتها. و من ضمن آليات اشتغال بنية الدماغ عملية المقولة La catégorisation التي تقوم بربط مفهوم الشيء في الواقع بما

يتضمّنه من دلالة على مستوى الدماغ(أي البنية الذهنية)، فمن جهة هناك إذن أصوات اللغة التي تحيل على أشياء في الواقع و من جهة أخرى هناك ما يقابلها على مستوى الذهن من مفاهيم تشحن بها الدلالات المتعارف عليها التي تتضمّنها حتى يتيّسر تقطيع أجزاء القول إلى ما يتركب منه و ما يترتب عنه.

وقد شاع استعمال "المقولة النحوية" كترجمة للمصطلح Grammatical category/ Catégorie grammaticale لتدّل على تصنيف لأجزاء الخطابات اللغوية المستعملة في التواصل الإنساني. والتي يقصد بها في اصطلاح اللسانيين:

"كلّ مجموعة من الوحدات المفرداتية تشترك في الخواص المورفولوجية و الدلالية و التركيبية و ذلك حتى تحظى بالوضع نفسه داخل الجملة "[2]. و هذه المقولات النحوية المجزّئة للخطاب تلعب دورا جوهريا في تمييز هذه الأجزاء بعضها عن بعض، ولأنّه لا يمكن الاكتفاء بإحدى المقولات أثناء الكلام والاستغناء عن الأخرى، و هذه المقولات النحوية هي: الفعل، الاسم، الصفة، الظرف، الحرف، الصلة... وتنوعها داخل الجملة هو الذي يُكسب القول اللساني صفة التواصل اللساني القائم على الاختلاف بينها أساسا. و إذا توارد وجودها في كل نظام لساني إنساني فهذا يؤكد صدورها عن عينة ذهنية إنسانية مشتركة، ممّا يرّسخ نتيجة أنّ الترجمة بين اللغات هي إمكانية واقعية فعلا لأنّها استبدال لوحدات لغوية متعارَف عليها في إطار لغة مصدر لوحدات لغوية متعارَف عليها في إطار لغة هدف؛ بينما الملكة الباطنة لدى متكلم اللغة و مستعملها هي ملكة إنسانية واحدة ومشتركة و إن اختلفت طرائق التعبير اللغوي تبعا لاختلاف اللغات.

إنّ ما توصلّت إليه اللسانيات الإدراكية جعلت اللسانيين يؤكدون على إمكانية البحث مرة أخرى فيما طرحه "نعوم تشومسكي" في النظرية اللسانية التوليدية التحويلية فيما يخص

مفهوم "الكليات النحوية" Les universaux grammaticaux ، و هذا ما حدا ببعض الباحثين إلى التساؤل عن إمكانية وجود كليات ترجمية.

فهذه الإمكانية فتحت باب البحث أمام ترسيخ فاعلية النشاط الذهني لمتكلّم اللغة وقدرته على استعمال ألفاظ اللغة و كلماتها المختلفة بالاستناد إلى البنية التصورية مع التأكيد على طابع تماهي كل من البنيتين الذهنية و اللسانية وتفاعلهما معا لخدمة الغرض التواصلي.

«Les mots et les constructions grammaticales culturellement spécifiques d'une langue sont des outils conceptuels qui reflètent l'acquis d'une culture dans l'action, et dans la réflexion sur l'action. Au fur et à mesure qu'une société change, ces outils sont susceptibles d'être modifiés graduellement pour être finalement rejetés » [3].

هذه البحوث المدرجة في مجال الترجمة تبين حيوية نظرية الترجمة بعد الإسهام النوعي الذي قدّمته اللسانيات الإدراكية للترجمة و دراساتها النظرية و التطبيقية معا، و الدليل على هذه الحيوية أنّ انفتاح نص الترجمة على ثقافات متعدّدة يؤدّي إلى اقتراض اللغات بعضها من بعض و تفاعلها فيما بينها و ينفتح مجال التواصل فيما بينها أمام حوارية النصوص و تداخلها و يكون ذلك سببا في تقريب الثقافات وسدّ فجوات الغربة الكامنة بينها، فممّا لاشكّ فيه أنّ اللغة تعتبر حاملة لفكر الأمة و لثقافاتها ووعاء لحضارتها وراصدا لماضيها و حاضرها، و بقدر اعتزاز الأمة بثقافتها و لغتها بقدر ما تشرف لدى أهلها الناطقين بها. ففكر الأمة و ثقافتها ينعكس في لغتها و لغتها تعكس البنية الذهنية الكامنة لدى أفراد هذه الأمة. و هذه البنية تتضمّن من المعاجم الذهنية ما تتشعّب معه المفردات وتتكاثر و تتوارد إلى حدّ يصعب معه الحصر فهناك ألفاظ تكون أدخل في باب

السياسة وأخرى تكون أعلق بالدين و أخرى بالاجتماع و الآداب و السلوك و أنشطة الحياة.

ومن هنا يظهر دور المترجم الذي يسعى إلى مواجهة النصوص المثقلة بحمولة الدلالات الثقافية و الحضارية فيجد نفسه مرغما على تمثل صور هذه الدلالات قبل أن يبحث عن بدائل لها في لغات أخرى بطريق الترجمة؛ بل و لربما تكون الترجمة وسيلة التقريب الأنجح بين الثقافات الإنسانية المتشعبة التي تتسمّ بالتنوع في العادات و الأخلاق و التصرفات و الفنون و المآكل و المشارب و غيرها...

و بالتالي فالترجمة تجمع بين تصورين للواقع أحدهما يتمّ التعبير عنه في نص لغة المصدر والآخر في نص لغة الهدف. ومن هنا يتأرجح دور المترجم بين البحث عن المعادل النصي الذي يضمن المحافظة على روح نص الأصل دون تشويه أو تحريف و بين سعيه نحو إيلاء جانب البراعة اللغوية في نص لغة الهدف بما يخدم نقل المعنى و تقديمه جاهزا للقرّاء بدون أن يتسبّب ذلك في فشل العملية التواصلية مع المترجم و مع روح نص الأصل و يمكّن من تسريب العناصر الثقافية بين اللّغات بكل أمانة و اقتدار.

ولقد تعدّدت التيارات النظرية و التطبيقية في رحاب الترجمة تنوعا أكسب نظرية الترجمة ثراء في المنهج و المصطلح ولكنّه يعكس أيضا استعصاء هذه القضايا خصوصا الثقافية منها و الدينية والحضارية على الدراسة و الفحص. و لقد أدّى هذا الاستعصاء عند الباحثين إلى اقتراح "مفهوم الترجمة الإلحاقية" التي تقوم على إلغاء الاختلافات الثقافية والتاريخية و اختلاف البنى اللغوية عند الإقدام على الترجمة"[4]، و لا ريب أن هذا الرأي غير مستساغ في ظل التطور الحاصل في رحاب البحث اللساني الأكاديمي خصوصا انفتاح الترجمة على منظور المقاربة الإدراكية.

النموذج التأويلي:

هذه النظرية "تمّ تطويرها في المدرسة العليا للتراجمة والمترجمين بباريس(ESIT) خلال الأعوام الخمسة والثلاثين المنصرمة على أيدي دانيكا سيليسكوفيتش (Danica Seleskovitch) وماريان لودورير(Marianne Lederer) مؤسستي مدرسة باريس"(5).

لقد شاع لدى المنظّرين لأبحاث الترجمة استعمال "النموذج التأويلي" كترجمة عربية لمصطلحي "modèle interprétatif". وبذلك يحدّد الاستعمال اتجاه تبنّي هذا المصطلح أو ذاك تبعا للحقل العلمي المتداول. فإذا كان مصطلح " الترجمة الشفوية" عَلَما على فرع من فروع الترجمة، فإنّ مصطلح "التأويل" يغدو هو الآخر عَلَما على نظرية معيّنة تستعمل "التأويل" في تفسير آليّة الترجمة بنوعيها "الترجمة المكتوبة" و"الترجمة الشفوية". وبدون الغوص في تاريخية مصطلح "التأويل" و انشطار مفهومه بين مدارس فكرية و فلسفية متنوعة فإننا نقصر القول عليه في إطار الترجمة فقط.

و لفهم "التأويل" في إطار الترجمة لابد من الاستناد الى مفاهيم الصور المجازية و الاستعارية الواردة في صلب النصوص المعدّة للترجمة. وهذه النّظرية هي ما يتجه البحث اللساني في خصائصها ومميزاتها؛ حيث أُطلق عليها مصطلح "النموذج التأويلي في الترجمة" "Le model interprétatif de la traduction". فهي نظريّة معاصرة تأخذ في الحسبان "الأساس الإدراكي لعملية الترجمة "La base cognitive"؛ وتوليه أهمّية في عملية الترجمة وخصوصا الأدبية منها. وذلك من منطلق أنّ النص- أيّ نص أدبي- لا يخلو من المسحة البيانية التي تظهر في تضاعيفه وتكسبه رونقا وجمالا بفضل الاستعارات والمجازات التي تَسمُ الأعمال الأدبية. ومن أجل تسهيل نقل الصور المجازية بطريق "التأويل" فإنّ الاعتماد على الجوانب المعجمية أو النحوية المتوفّرة لدى المترجم بدون إدراج عنصر الفهم المتأتّي أصلا من الثقافة الإدراكية التي تتكوّن لدى

المترجم من معايشته للإطار الثقافي الذي يحفّ كلاً من اللغة الأصل و اللغة الهدف يبدو مسلكا غير سليم ويحمل في طياته مخاطر دلالية جمّة، تعمل على إبعاد القارئ عن حقيقة الدلالة بدل مساعدته أثناء قراءة الأثر الأدبي على اختراق طبقة التراكيب السطحية والغوص في أغوار التراكيب العميقة التي تحمل دلالات أرادها الكاتب الأصلي من خلال إنجازه لهذا الأثر الأدبي.

« lorsqu'un poète arabe parlera d'un paysage en neige il dira : le paysage est si blanc qu'il semble de toutes parts sourire avec des dents blanches, ce qu'un grec ou un Romain aurait trouvé bien bizarre »(6) .

و لا زال الاتجاه الإدراكي يرّسخ القدم في صميم الدراسات الإنسانية المعاصرة ويكتسب قبولا يدفع إلى الإقبال على دراسته و تشريح محتواه، و تلتقي الآراء السائدة المناصرة لهذا الاتجاه على اعتبار أنّ هناك "نموذجا معرفيا كامنا وراء كل قول أو ظاهرة إنسانية، هذا النموذج هو مصدر الوحدة وراء التنوع و هو الذي يربط بين كل التفاصيل، فتكتسب معنى و دلالة و تصبح جزءا من كلّ أو ليس مجرد معلومة جديدة أو طرفة فريدة و النموذج هو تجلّ متعيّن لرؤية الإنسان للكون"7.

و في هذا الإطار فإنّ عمل المترجم يفرض عليه إيلاء أهمية للمحافظة على فكرة النص المحورية بعد فهمها و "إدراكها" ثمّ نقلها بطريق "التأويل" إلى لغة أخرى، و هذا يؤكّد على أنّ الالتزام بالترجمة الحرفية في ترجمة الأعمال الأدبية ليس اتجاها صائبا لأنّه تعترضه عوائق مفهومية و إدراكية جمّة لأنّ الترجمة الحرفية تجنح إلى المحافظة على نص اللغة الأصل بالالتزام بأطرها النظمية و البنائية الصارمة و إن أدّى ذلك إلى اختلال الفكرة المتضمّنة في روح هذا النص. فالمقاربة التأويلية للترجمة قائمة على هذا الأساس اللساني النصي الذي يعتمد على الإحاطة بالخطاب الأصلي للوصول إلى تأويل المعنى المقصود لدى الكاتب. "ليس التقاط المعنى نتيجة مراحل متابعة وإنّما هو المسعى الوحيد للفكر، لا نفهم نصّا في أول

الأمر على مستوى اللّغة ثمّ على مستوى الخطاب ولكن نفهمه دفعة واحدة على مستوى الخطاب"[8]. فالمعنى المتضمّن في صلب النّص الأدبي ليس بارزا بالشكل الذي يمكّن من تمرير الدلالة بصورة آلية تحقّق المعنى بسهولة ويسر؛ ولو كان الأمر يتمّ بهذه الصورة لما احتيج أصلا إلى أنواع من الدراسات المنصبّة حول اقتراح مستمرّ لآليات متجدّدة في مجال الترجمة. وبالتالي لاستطاعت الترجمة الحرفية أن تحقق التعادل الدلالي بين ضفاف لغتين.

"C’est une affaire bien délicate que de vouloir donner au moyen de traductions une idée de la plus ancienne poésie des arabes. Les idées en sont si typiquement nationales, la couleur locale si particulière et le style si spécifique que ces poèmes ne peuvent pas réellement être transposés. Ils vivent dans un monde à part ou seul l’initié trouve accès[9] ".

و على سبيل المثال نورد ترجمة "فيتسجرالد" لرباعيات عمر الخيام"؛ و هي الرباعيات التي عرّفت بشخصية "عمر الخيام" لدى العالم أجمع. وقد اشتهرت هذه الرباعيات و صارت من روائع الآداب العالمية و كانت وسيلة هذه الشهرة و الذيوع ترجمات "فيتسجرالد" لها سنة 1860. ففي مقدّمة الرباعيات التي كتبها "بتبسون ألفرد" يرى أن الترجمة كانت إبداعا A creative translation ؛ وجانب الإبداعية عنده أنّ الترجمة لم تحاك الأصل بل سارت على منهاجه و اقتفت أثره. يتحدّث عن "فيتسجرالد" فيقول:

«He always felt that a translation could not be both literal and yet retain the spirit of the original »[10] .

في كثير من الأحيان نجد أنّ المترجم "فيتسجرالد" لا يلتزم بمحاكاة النص الأصلي وسبيل المقارنة بين الترجمتين العربية و الانجليزية يظهر فارق الانزياح بين المعاني فلا نستطيع أن نلتمس خيط الأصل الرابط بين الترجمتين.

(IV)

How the new year reviving old desires,
The thoughtful soul to solitude retires,
Where the white hand of Moses on the Bough,
Puits out,and Jesus from the ground suspires[11]

(٤)

– يجدد العام الجديد الرغائب القديمة
و الروح المتأملة تلوذ بالعزلة
حيث يمد"موسى"إلى الغصن يده البيضاء
و يبث "عيسى " أنفاسه في الأرض.

إنّ المتأمّل في النصين يلاحظ غياب التطابق التركيبي بينهما فأول كلمة في النص الانجليزي و هي « Now » و التي تعتبر ترجمة للنص المكتوب أصلا باللغة الفارسية فإنّ هذه الكلمة غير موجودة في نص الترجمة العربية، كما نلاحظ عدم التطابق التركيبي مع مستوى استعمال الظروف « Adverbs » بين « From ». كما يمكن إيراد النصين التاليين:

And Jesus From the Ground suspices
يبث عيسى أنفاسه في الأرض.

إن ترجمة « from » إلى العربية هي "من"،منذ،حسب و ليس "في" ، و هذا يؤكد غياب التناظر التركيبي بين الترجمتين، و يؤكد من جهة أخرى مدى الجهد المبذول في ترجمة الآداب لخصوصية النص الأدبي و لما له من قيمة جمالية و تعبيرية هامة.

كما أن قيمة خصوصيات الرموز الثقافية و الصور الواقعة البيئية التي يزخر بها نص الأصل تختلف فيه هذه الصور عن نظائرها في نص لغة الهدف. ومن ذلك أنّ الرمز الثقافي الذي يشيره

كلاّ من "موسى" و "عيسى" في المقطوعة السابقة يختلف عن تصوّر كلّ من صاحب النص الأصلي و صاحب الترجمة الانجليزية.

« Ce qui veut dire "ciel" dans une langue, veut dire nuage, brouillard, voûte, dans les autres, le mot "dieu" dans certains dialectes signifie bon, très – haut ; dans d'autres, soleil ou feu »[(12)] .

و يؤكّد من جهة أخرى قيمة الاهتمام بنص الترجمة ككل و ليس كأجزاء منفصلة بعضها عن بعض، فإنّ الوحدات اللغوية المشكّلة لنص الترجمة و إن أمكن إجراء الترجمة على أساسها إلاّ أنّ دلالته الكلية وفكرته الشاملة المتضمنة في صلب النص وروحه قد تختفي و بالتالي يكون الناتج من الترجمة نصّا مفكّك الأوصال مستقيما نحويا و لكنه غير مستقيم دلاليا و مفهوميا.

و هذا الجانب المفهومي على أهمّيته لم يكن يشغل مساحة معتبرة من البحث في مجال الترجمة، فلقد ظلت الترجمة تبحث في إجراءات النقل اللساني ولكن بوسائل تقليدية، حيث كان الاهتمام منصبّا على نقل الوحدات اللسانية ضمن مستويات التحليل اللساني المعروفة، أي مستوى التركيب النحوي و مستوى الوحدات الصرفية و مستوى الوحدات المعجمية، أمّا الاهتمام بالمستوى المفهومي الإدراكي فقد اتجهت اللسانيات إلى الانفتاح على أهمّيته و دوره بعد ظهور تيار "اللسانيات الإدراكية/العرفنية" و طرحها لأفكار و مبادئ جديرة بالدراسة و البحث، و هذا الإنتاج يؤكّد على أهمّية المنحى الإدراكي في الترجمة وليس معناه الانتقاص من دور باقي المستويات اللسانية و إنّما يؤكد على أنّ هذه المستويات تعكس محتوى إدراكيا مفهوميا يجدر بالمترجم الانتباه إلى دوره في تشكيل نص الترجمة و الارتقاء به إلى مستوى الإجادة المطلوبة بإشراك جميع هذه المستويات في خدمة النص المترجم.

و لا شك أن هذه الاختلافات تلقي بظلالها على نصوص تكون في غالب الأحيان متيسرة لطائفة من القراء، يسهل عليهم التعرف إلى دلالاتها و تمييز وجه الاختيار بين هذه المفردة أو تلك لكن الأمر يزداد عسرا كلما شحن الكاتب نصه بسيل من المجازات والاستعارات التي يوحي ظاهر القول فيها بغير ما يقصده الكاتب أو يربط بين دلالة كلمة ليصل بها إلى كلمات أخرى في سياق الحقل الدلالي الواحد.

كما شكّل ظهور اللسانيات التوليدية التحويلية إيذانا بتغيير اتجاه مسار البحث اللساني نحو تبني نظرية لسانية لا تقتصر فقط على اللغة في إطارها النظمي اللساني فقط بل تدرج أطرا لسانية مرجعية متعدّدة و متشعبة و على رأسها الإطار النفسي الذي يظهر تقاطع اللسانيات مع علم النفس كما قرر ذلك "تشومسكي" نفسه. و هذا يؤدي إلى الإقرار بدور هذه النظرية اللسانية المعاصرة في درب رصد التطور الحاصل في رحاب التفكير اللساني.

و من أبرز التيارات اللسانية التي استفادت من هذا الإرث التوليدي التحويلي هو تيار اللسانيات الإدراكية الذي انتعش و اكتسب عدة مصطلحية و مفهومية تمكّن من خلالها من إثبات أحقية وجوده في الفكر اللساني المعاصر، و أضحى استعمال المصطلحات التي تتعلّق بالبنية الذهنية أو الفكرية أو الإدراكية أو المفهومية و ما يتعلّق بها و يدور في فلكها ويشتق منها في حقلها المعجمي، أضحى كلّ ذلك من المصطلحات التي يشيع استعمالها بشكل واضح و جلي.

و من هذا المنطلق نلاحظ أن نظرية الترجمة نفسها أدرجت تقسيما لأنواع المعاني لم يكن مطروحا قبل ظهور هذا التيار من اللسانيات و المقصود به"المعنى الإدراكي" و هو مصطلح أصبح مستعملا لدى اللسانيين و التراجمة و الباحثين في هذين الحقلين و هو المصطلح الذي يتقاطع مع مصطلحات أخرى فنجد:

- المعنى الإدراكي Cognitive meaning
- المعنى المعرفي Cognitive meaning
- الوظيفة الفكرية Ideationel Function
- المعنى الاستعاري Metaphorical meaning[13]

و هذا يؤكد التأثير الذي تمارسه الحقول الإنسانية في اللسانيات بمختلف شعبها وتياراتها كما يؤكّد به الاتجاه الذي رسمته اللسانيات الإدراكية منذ بزوغها إلى الآن وهو الاستفادة من دراسة عمل الذهن البشري في إنتاج اللغة بديلا عن الاعتماد على ثروة المتكلمين اللغوية.

يظهر هذا الاتجاه من الدراسة اللسانية قيمة الاستفادة من هذا النوع من الدراسات في نقد النصوص المقترحة للترجمة و تحليلها على أساس منجزات اللسانيات الإدراكية لأنّ الترجمة بالأساس هي عملية ذهنية و لسانية معا تقوم على اللغة و على فهمها و فك شفراتها المعرفية.

تتفق جل الدراسات المعاصرة على أن تيار اللسانيات الإدراكية هو تيار يمتاز بالجدة مقارنة بالتيارات اللسانية المعهودة عند الباحثين بدأت تتبلور مفاهيمه منذ منتصف التسعينات و مباحثه محل الدراسة هي نفسها المباحث التي تدور في فلك اللغة وقضاياها و اشكالياتها، و ما يميز هذا التيار هو أنّ التركيز إنما ينصب على تجلية أسس البنية الذهنية الحاملة للمعاني و الدلالات لدى متكلم اللغة ثم الارتقاء إلى البحث عن كيفية ربط المعاني بالكلمات من منظور إدراكي (معرفي)، و في هذا الإطار يتم التركيز على ما أضحى يعرف بالتمثل الذهني الذي يربط صور الأشياء في الواقع باستعمالاتها في اللغة، ويأتي على رأس هذه التمثلات الذهنية لدى متكلم اللغة استعماله للاستعارة و المجاز في كلامه و غير العادي (أي الأدبي) ومنه فإن دراسات الاستعارة و المجاز في ظل تيار اللسانيات الإدراكية أصبح شائعا إلى درجة تركزت حولها الجهود البحثية لدى علماء هذا التيار.

و تبعا لذلك فإن نظرية الترجمة اكتسبت رافدا هاما في درب فهم عملية الترجمة وهو ما حذا اللسانيين إلى السعي نحو الاستفادة من التصور الإدراكي في استجلاء هذه العملية الترجمية.

« The process of translation is an extremely complex one, but most linguists usually ignore this complexity and tend to take the process and its results, as straight for word and even automatic and faultless »[14].

و تعقيد العملية الترجمية ينبع من كونها ليست ظاهرة لسانية فقط بل تتدخل عوامل أخرى و على رأسها العوامل الذهنية الإدراكية الموجودة في ذهن المترجم و معارفه عن لغته الأمّ و لغة موضوع الترجمة (الأصل و الهدف كليهما).

و لا غرابة أن نجد أنصار اللسانيات الإدراكية يلحون على أهمية اعتماد المنظور الإدراكي في دراسات الترجمة لما له من أهمية في فهم عملية الترجمة و الاقتراب من ضفافها. كما يظهر هذا الاتجاه شدة ارتباط الترجمة بالحقل الثقافي الذي يؤطر رؤية المتكلمين للغة و يشكل صورتهم عن واقعهم الاجتماعي و البيئي و يتدخّل في اختياراتهم لألفاظ اللغة بطريقة عفوية و لا شعورية و تمثل جانبا مهمّا من طرق التواصل في إطار المجموعة اللسانية الواحدة.

و على هذا الأساس فإن ألفاظا مثل: قبلة، مؤذن، أذان، سفينة الصحراء.... و غيرها من ألفاظ إنّما تعكس بيئة اللغة العربية ذاتها و تشكّل إرثا جماعيا خالصا لدى مستعملي العربية؛ فهذه الألفاظ و غيرها لا يُبحث عن دلالاتها في القواميس فقط بل يُبحث عن الدلالة التصورية لمن يستعملها من أهل العربية و التي تشّكل منظورا إدراكيا خاصا بهم، و هذا لا ينطبق على العرب لوحدهم و إنّما هو ظاهرة معرفية إنسانية مشتركة من منطلق أن رؤية الإنسان لواقعه و لبيئته هي التي تؤطر استعماله للغة و ليس العكس.

وفي الأخير نخلص إلى أنّ أمر "الدلالة التأويلية" في النّص المترجم يحمل من مجهودات الاختيار والانتقاء ما تُناط على إثره بالمترجم مهمّة الوعي بمجمل هذه الوسائط المعرفية الإدراكية التي تصبّ في إطار تفعيل الآليات الذهنية التأويلية لنص الترجمة الأدبية. وهذه الاعتبارات هي التي تبررّ السياق الفكري الذي يثبت أحقية "النموذج التأويلي" في الانتساب إلى نظرية الترجمة المعاصرة.

---

[1] -Ray Jackendoff : Foundations of language, Oxford university press, 2003, P 273.

[2] ماري نوالة غاري بريور،المصطلحات المفاتيح في اللسانيات ترجمة،عبد القادر فهيم الشيباني سيدي بلعباس ،الجزائر،ط1، 2007،ص26.

[3]Nicole Delbecque : Linguistique cognitive, de boeck.duculot,Paris, France, 2006, P185.

[4] جاكلين كليمان ينشر الآداب العالمية :التنظير في مجال الترجمة"،ترجمة يونس لشهب ع140 خريف 2009،سنة 34 اتحاد الكتاب العرب،ص39.

[5]- ماريان لوديرير – دانيكا سيليكوفتش: التأويل سبيلا إلى الترجمة، ترجمة فايزة القاسم ، لبنان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2001، ص 07.

Carl Grimberg : Histoire universelle. Marabout 198 -université. France, 1963, P57.[6]

[7] عبد الوهاب المسيري،اللغة و المجاز بين التوحد ووحدة الوجود،دار الشروق ،القاهرة،مصر ط2002،1،ص06.

[8]- ماريان لوديرار: م س، ص26.

2- Carl Grimberg : Op cit, P. 57.

[10] Edward Fitz Gerald ;the rubaiyat of omar Khayyam ,transted in to arabic by ;Badr Tawfik.

[11] Edward Fitz Gerald ;ibid,P28.

[12] -Fréderic Baudry : De la science du langage et de son état actuel (Extrait de la revue archéologique). Paris, 1864. P06.

[13] روجر،ت،بيل:الترجمة و عملياتها،تر:محي الدين حميدي،ص257.

[14] Roland Langacker :cognitive Linguistics,internal dynamics urker disciplimary interaction de Gryter,Berlin ,2005,P203.